

فوائد وأسرار

من

آية الكرسي

{أعظم آية في القرآن}

تأليف /

أبي عبد الرحمن موفق بن أحمد بن علي الفاضلي
العودي

راجع له الشيخ الفاضل /

أبو عبد الرحمن فتح بن عبدالحافظ التعزي المعافري القدسي

قدم له الشيخ الفاضل /

أبو محمد عبد الحميد الزعكري الحجوري

والشيخ الفاضل /

أبو اليمان عدنان بن حسين المصقري

مقدمة الشيخ عبد الحميد الحجوري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد:

فقد طالعت "فوائد وأسرار من آية الكرسي" لأخيها في الله الداعي إلى الله أبي عبد الرحمن موفق بن أحمد الفاضلي العودي، فرأيتها رسالة نافعة مفيدة، ففيها سبيل لمعرفة معاني وفوائد أعظم آية من كتاب الله عز وجل.

والاهتمام بالقرآن قراءة وحفظاً وفهماً من أهم المهمات إذ أنه الكتاب المحفوظ من عبث العابثين، قال الله عز وجل: { إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر : ٩] وهو الكتاب المهيمن، قال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ } [المائدة : ٤٨].

وهو سبيل الهداية، قال الله عز وجل: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } [الإسراء : ٩] فالله أسأل أن يجزي المؤلف خيراً على هذا الجهد المبارك.

أبو محمد عبد الحميد الزعكري

١ / ذو القعدة ١٤٤٠ هـ

مقدمة الشيخ عدنان المصقري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي المؤمنين والمؤمنات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من خلق الله والمبعوث بخير الصفات. أما بعد:

فقد تصفحت رسالة أعظم آية في القرآن وشرح آية الكرسي وذكر فضائلها، لأخينا الموفق المفضل والداعي إلى الله بحكمة واعتدال، أبي عبد الرحمن موفق الفاضلي العودي. فرأيت أنها رسالة جمعها صاحبها بإتقان ومفيدة لأهل الإيمان، فنسأل الله أن ينفعنا بالقرآن . وجزى الله أخانا موفقاً خيراً على جهده الطيب ونصحه واستمراره في الدعوة إلى الله على علم وبصيره، ودعوته مقبولة في رداع، ونحث المسلمين والمسلمات على الاستفادة من أهل السنة والثبات وعدم التسرع في الفتن والمدلهمات وعدم الإعراض عن العلم وأهله مهما كانت النوازل والملفات.

كتبه أبو اليمان عدنان بن حسين .
يوم الجمعة ١/ ذو الحجة ١٤٤٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، وأشرف الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، بعثه الله رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وإخوانه وأزواجه أجمعين.

الحمد لله الذي مَنَّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكلَّ بلاءٍ حسنٍ أبلانا، مَنَّ علينا فأفضل، وأعطانا فأجزل.

الحمد لله على نعمة الإسلام، وعلى نعمة الإيمان، وعلى نعمة القرآن، وعلى نعمة السنة، وعلى نعمة العلم والتعليم، ونسأله الثبات على ذلك حتى الممات.

أما بعد:

فإنه لا يخفى على مسلم فضل القرآن الكريم، وفضل تعلمه، وتعليمه، وحفظه، والعمل به، والدعوة إليه، وإن من أهم ذلك لهو العناية به، والدفاع عنه، تأليفًا، وتحقيقًا، وتعليمًا، وخدمةً، وتفسيرًا، وإنشاء الدور والمعاهد لهذا الشأن، فإن شرف العلم من شرف المعلوم.

كيف لا؟! وهو كلام رب العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو المعجزة الخالدة، المتعبد بتلاوته، المهيم على سائر الكتب والأديان السابقة، الذي جعله الله شفاء لهذه الأمة من أمراضها وأسقامها الحسية والمعنوية، وجعله هدى، ورحمة، وموعظة، وذكرى، ورفعاً لأهله.

قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف : ٥٢]

وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت : ٥١]

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس : ٥٧، ٥٨]

وقال تعالى: {لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء : ١٠]

وقال تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزخرف : ٤٤]

فإنه سيسأل كل إنسان يوم القيامة عن هذا الكتاب العظيم، وإن من أسئلة القبر لهو السؤال عن القرآن الكريم.

فسيُسأل العبد عن ربه، ونبيه، ودينه، وعمله، فيقال للمؤمن: "ما علمك؟" فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به و صدقت فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبيد فأفرشوه من الجنة و ألبسوه من الجنة و افتحوا له بابا إلى الجنة، فيأتيه من روحها و طيبها و يفسح له في قبره

مد بصره.. " وأما الكافر فيقول : " هاه هاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء : أن كذب عبدي فأفرشوه من النار، و افتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها و سمومها و يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه" الحديث^(١)

فمن هذا الباب أحببت أن أشارك في آية من كتاب الله عزو جل، وهي آية الكرسي، فأرجو أني قد وفقت للعناية بها ، فجمعت مايتعلق بها من فوائد وحكم وأسرار وشروحات ومعاني من كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلام أهل العلم من السلف والخلف من علماء العقيدة والتفسير وشرح الأحاديث، فإنه مهما كتب فيها الكاتبون، وألف المؤلفون، وشرح الشارحون، فلن يوفوا بحقها، ولو كتبت في هذه الآيات المجلدات الكثيرة لما وُفي بحقها لعظمتها، فهي أعظم آية في القرآن الكريم، وتحمل معاني عظيمة، وفوائد غزيرة كما سيأتي في طيات هذه الرسالة.

وقد اعتنيت بتخريجات الأحاديث على تحقیقات العلامة الألباني - رحمه الله -، وعزوت كل قول أو أثر أو تفسير إلى مصدره والله الحمد والمنة الذي يسر وأعان ووفق، فאלله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

سبب تأليف هذه الرسالة:

وكان سبب تأليف هذه الرسالة بعد توفيق الله أن يسر الله بكتاب أختينا المفضل عبدالله الحكمي في شرح أصول التفسير للعلامة العثيمين فقرأت صدرًا منه، فوجدته ذكر فضل العناية بالقرآن الكريم، وحث على الاهتمام به وأشار إلى الإهمال في هذا الجانب من خدمة القرآن الكريم، فنظرت في مؤلفاتي فإذا هي خالية من خدمة القرآن الكريم من حيث الخصوص وإلا فهي والله الحمد تزخر بالأدلة من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة، فعزمت على كتابة رسالة ولو صغيرة في هذا الجانب، ولو بآية من هذا الكتاب العظيم، من باب المشاركة في خدمة القرآن الكريم وإلا فالفضل لله ثم لأهل العلم من المتقدمين والمتأخرين في خدمة القرآن الكريم، فمكتبات أهل السنة والجماعة تزخر بالكتب المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه، من التفسير وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والتجويد والمحكم والمتشابه ونحو ذلك.

و ذات يوم بينا أنا أقرأ في سورة البقرة وصلت إلى آية الكرسي فنظرت فيها وما أودع الله فيها من فوائد وأسرار ومعاني عظيمة واستنباطات كثيرة، فعزمت في نفسي أن أكتب فيها، فوفق الله سبحانه وتعالى بإخراج هذه الرسالة الطيبة، أسأل الله أن ينفعني بها والمسلمين والحمد لله رب العالمين.

وكتب / موفق الفاضلي العودي

(١) - (صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة والحاكم وغيرهم عن البراء . رضي الله عنه ، وصححه الألباني . انظر حديث رقم : ١٦٧٦ في صحيح الجامع

((آية الكرسي))

((اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ))

[البقرة: ٢٥٥]

آية الكرسي أعظم آية في القرآن

فقد روى الإمام مسلم عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».

أي: هنيئاً لك العلم.

ففي هذا الحديث بيان من النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب وإرشاده إلى أعظم آية في القرآن الكريم وذلك من خلال سؤاله إياه بهذا السؤال وإقراره على جوابه وتهنئته له بالعلم.

السبب في أنها أعظم آية في القرآن الكريم:

آية الكرسي هي أعظم آية لأنها اشتملت على بعض أسماء الله وصفاته العظيمة، واشتملت على صلي الله تفرده بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فاشتملت على وحدانيته واستحقاقه لجميع العبادات دون غيره، واشتملت على حياته الكاملة من كل وجه، وعلى قيوميته على السماوات والأرض ومن فيهن، واشتملت على علمه الكامل وملكه الشامل، ونفت بعض الصفات التي لا تليق به من السنّة والنوم والعجز، واشتملت على عظمته وعظمة بعض مخلوقاته من السماوات والأرض والكرسي الدالة على عظمته، وفيها بيان حقيقة الشفاعة يوم القيامة وأنها ملكه ومتعلقه بإذنه لمن شاء من خلقه وغير ذلك مما سنذكره في هذه الرسالة.

سبب تسميتها بآية الكرسي:

سميت هذه الآية بآية الكرسي؛ لأن الله تعالى ذكر فيها ذلك المخلوق العظيم، وهو الكرسي الذي وسع السماوات والأرض، وهي تسمية توقيفية سماها النبي صلى الله عليه وسلم، كما ثبت ذلك عنه في الأحاديث التي سنذكرها في هذه الرسالة مما يتعلق بهذه الآية الكريمة.

قال المناوي - رحمه الله -: قوله: (آية الكرسي) أي الآية التي ذكر فيها الكرسي فلذكره فيها سميت به.. "اهـ (١)

أقوال العلماء في آية الكرسي:

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله -: "هذه آية الكرسي لها شأن عظيم قد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل آية في كتاب الله" اهـ (٢).

وقال المفسر السعدي - رحمه الله -: "هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردا للإنسان في أوقاته صباحا ومساء وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات" اهـ (٣).

وقال المفسر القرطبي - رحمه الله -: "هذه آية الكرسي سيدة أي القرآن وأعظم آية، كما تقدم بيانه في الفاتحة، ونزلت ليلا ودعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيادا فكتبها" اهـ (٤).

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "أشرف آية في القرآن آية الكرسي. قال بعض العلماء: لأنه يكرر فيها اسم الله تعالى بين مضمرة وظاهر ثماني عشرة مرة" اهـ (٥).

وقال النووي - رحمه الله -: "قَالَ الْعُلَمَاءُ إِنَّهَا تَمَيَّزَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ بِكَوْنِهَا أَعْظَمَ لِمَا جَمَعَتْ مِنْ أَصُولِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْمُلْكِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ... اهـ (٦).

وقال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله -: "ثم أخبر صلى الله عليه وسلم أن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة يعني إذا قرأت في بيتك سورة البقرة فإن الشيطان يفر منها ولا يقرب البيت والسبب أن في سورة البقرة (آية الكرسي) ويدل لهذا ما بعد الحديث الذي ذكره المؤلف حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.. اهـ (٧).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير - (١ / ٨٠)

(٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (١ / ٦٧٢)

(٣) تفسير السعدي - (١ / ١١٠)

(٤) تفسير القرطبي - (٣ / ٢٦٨)

(٥) المصدر السابق - (٣ / ٢٧١)

(٦) شرح النووي على مسلم - مشكول - (٣ / ١٦٤)

(٧) شرح رياض الصالحين - (١ / ١١٦٨)

أحاديث في فضل آية الكرسي:

تقدم حديث أبي بن كعب عند الإمام مسلم، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».

وفي رواية عند الإمام أحمد وغيره عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ! والذي نفسي بيده؛ إن لها لساناً وشفتين تُقَدِّسان الملك عند ساق العرش. يعني: آية الكرسي) ^(١).

وروى محمد بن أبي شيبه في "كتاب العرش" (١١٤ / ١) عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - قال: "دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله أيما آية نزلت عليك أفضل؟ قال: آية الكرسي: ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة و فضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة" الحديث ^(٢).

وسياتي ذكر أحاديث أخرى في فضلها في آخر الر سالة عند باب (مواضع تقرأ فيها آية الكرسي)

اشتغال آية الكرسي على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله):

من عظمة هذه الآية الكريمة أنها اشتملت على أعظم كلمة وهي كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) التي هي مفتاح الإسلام ومفتاح دار السلام، وهي كلمة التقوى، والكلمة الباقية، والحجة البالغة، والكلمة الطيبة، والقول الصواب، والقول الثابت، لو وزنت بالسموات والأرض لرجحت عليهن.

فهي أعظم حسنة في الميزان لو بلغت الذنوب عنان السماء لرجحت عليهن بإذن الله، فإنها أعظم مكفر للذنوب، وقد حرم الله أجساد أهلها على النار، وجعل الشفاعة لأهلها الموحدين، فمن لقي الله بها دخل الجنة وإن أصابه قبل ذلك ما أصاب ممن كان من أهلها قولاً وعملاً واعتقاداً، ممن قالها بلسانه واعتقد معناها بقلبه وعمل بمقتضى ذلك بجوارحه، فعمل بشروطها واجتناب نواقضها.

ومقتضى هذه الكلمة هو: نفي استحقاق العبادات عما سوى الله وإثباتها لله سبحانه وتعالى ومعناها: لا معبود بحق إلا الله وغيره إن عبد فقد عبد بباطل.

١) انظر السلسلة الصحيحة (١٤ / ٢٢) (٣٤١٠)

٢) صحيح: صححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (١ / ١٠٨) (١٠٩)

تفسير قوله تعالى { لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ }

قال المفسر الطبري - رحمه الله - : "القول في تأويل قوله تعالى : { لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }

قال أبو جعفر: قد دللنا فيما مضى على تأويل قوله: "الله" ^(١) .

وأما تأويل قوله: "لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" فإن معناه: النهي عن أن يعبد شيء غير الله الحي القيوم الذي صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية. يقول: "الله" الذي له عبادة الخلق "الحي القيوم"، لا إِلَهَ سِوَاهُ، لا معبود سِوَاهُ، يعني: ولا تعبدوا شيئاً سوى الحي القيوم الذي لا يأخذه سنة ولا نوم، والذي صفته ما وصف في هذه الآية.

وهذه الآية إبانة من الله تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله عما جاءت به أقوال المختلفين في البيئات من بعد الرسل الذين أخبرنا تعالى ذكره أنه فضل بعضهم على بعض واختلفوا فيه، فاقتتلوا فيه كفراً به من بعض، وإيماناً به من بعض. فالحمد لله الذي هدانا للتصديق به، ووفقنا للإقرار ^(٢) اهـ

وقال المفسر السعدي رحمه الله - : "فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأن { لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } أي: لا معبود بحق سِوَاهُ، فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، ولكون العبد مستحقاً أن يكون عبداً لربه، ممثلاً أوامره مجتنباً نواهيه، وكل ما سوى الله تعالى باطل، فعبادة ما سِوَاهُ باطلة، لكون ما سوى الله مخلوقاً ناقصاً مدبراً فقيراً من جميع الوجوه، فلم يستحق شيئاً من أنواع العبادة" اهـ ^(٣)

اشتمال آية الكرسي على أقسام التوحيد الثلاثة:

فأقسام التوحيد هي:

١: توحيد الألوهية.

٢: توحيد الربوبية.

٣: توحيد الأسماء والصفات.

- فيؤخذ توحيد الألوهية في هذه الآية العظيمة من قوله تعالى: { لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } .
- ويؤخذ توحيد الربوبية من قيامه على السماوات والأرض وتصرفه فيهما وإذنه بالشفاعة ونحو ذلك من أفعاله التي ذكرت في آية الكرسي.

(١) سيأتي ذكره عند معنى لفظ الجلالة (الله)

(٢) جامع البيان (تفسير الطبري) - (٥ / ٣٨٦) (٥ / ٣٨٧)

(٣) تفسير السعدي - (١ / ١١٠)

- ويؤخذ توحيد الأسماء والصفات من قوله تعالى: {الحي القيوم} وقوله: {العلي العظيم} وقوله: {يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه} ونحو ذلك من الأسماء والصفات التي ذكرت في هذه الآية العظيمة وسيأتي ذكرها قريباً إن شاء الله تعالى.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : "فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ الصِّفَاتِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ،.." اهـ^(١)

اشتغال آية الكرسي على الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب:

فقد روى أبو داود عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ (وَالْهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) وَفَاتِحَةُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) »^(٢)

ولاشك أن آية الكرسي تشتمل على هذه الأسماء المباركة التي ذكرت في هاتين الآيتين، وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في حديث رواه ابن ماجه عن القاسم قال: " اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث البقرة وآل عمران وطه " حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال ذكرت ذلك لعيسى بن موسى فحدثني أنه سمع غيلان بن أنس يحدث عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم " ^(٣)

فقوله: (البقرة) أي: في آية الكرسي فإن الأسماء التي ذكرت فيها اشتمت على الأسماء التي ذكرت في فاتحة آل عمران وزيادة .

قال الطحاوي - رحمه الله - : " قَالَ أَبُو حَفْصٍ: فَتَنَطَّرْتُ فِي هَذِهِ السُّورِ الثَّلَاثِ فَرَأَيْتُ فِيهَا أَسْمَاءً لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُهَا آيَةُ الْكُرْسِيِّ { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } [البقرة: ٢٥٥] . وَفِي آلِ عِمْرَانَ { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } [البقرة: ٢٥٥] . وَفِي طه { وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ } [طه: ١١١]

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ أَنَّ مَا اسْتَخْرَجَهُ أَبُو حَفْصٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِيهِ (اللَّهُ) وَالَّذِي اسْتَخْرَجَهُ مِنْ آلِ عِمْرَانَ كَذَلِكَ أَيْضًا فِيهِ (اللَّهُ) فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ خَارِجًا مِنَ الْآثَارِ الَّتِي رَوَيْنَاهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي هَذَا الْبَابِ، وَلَا مُخَالِفًا لِمَا فِيهَا وَكَانَ مَا اسْتَخْرَجَهُ مِنَّا فِي طه قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَمَا اسْتَخْرَجَهُ فَثَبَّتَ بِذَلِكَ أَنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ مَا فِي طه سِوَى ذَلِكَ ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ فِيهَا: { وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } [طه: ٨] . الْآيَةُ فَيَرْجِعُ مَا فِي طه إِلَى مِثْلِ مَا رَجَعَ إِلَيْهِ مَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَمَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَقَدْ

١) الفتاوى الكبرى - (٦ / ٣٢٧)

٢) ورواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٠)

٣) حسن: حسنه الألباني انظر صحيح ابن ماجه - (٢ / ٣٢٩) (٣١٠) والصحيحة (٧٤٦)

رُوي عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّةِ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الْحَدِيثَ الَّذِي اسْتُخْرِجَ مِنْهُ أَبُو حَفْصٍ مَا اسْتُخْرِجَ.

فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: " إِنَّ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمِ { وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } [البقرة: ١٦٣] ، وَ { أَلَمْ يَلِدْ وَلَا يُولَدْ } [الأنعام: ١٠١] ، وَ { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } [آل عمران: ٢] "

فَكَانَ فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ مَوْضِعُ اسْمِ اللَّهِ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ بِمَا لَيْسَ فِي إِحْدَاهُمَا ذِكْرُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ وَفِيهِمَا جَمِيعًا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا يَجِبُ بِهِ أَنْ يُعْقَلَ أَنَّ الَّذِي فِي سُورَةِ طه هُوَ ذَلِكَ أَيْضًا لَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو حَفْصٍ وَكَانَ فِيمَا ذَكَرْنَا مَا قَدْ وَافَقَهُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو حَنِيفَةَ فَكَانَ قَوْلُهُمْ: اللَّهُمَّ ، إِنَّمَا كَانَ الْأَصْلُ فِيهِ يَا اللَّهُ فَلَمَّا حَذَفُوا الْيَاءَ مِنْ أَوَّلِ الْحَرْفِ زَادُوا الْمِيمَ فِي آخِرِهِ لِيَرْجِعَ الْمَعْنَى الَّذِي فِي يَا اللَّهُ وَفِيمَا رَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَصْدِيقُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ وَانْتَقَى الْإِخْتِلَافُ مِنْهُ " (١)

وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ : "فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْمًا أَعْظَمَ إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَأَنَّ ذَلِكَ مُذَكَّرٌ هَهُنَا ، وَفِيهِ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ قَالَ كُلُّ اسْمٍ ذُكِرَ بِإِخْلَاصٍ تَأَمَّعَ الْإِعْرَاضَ عَمَّا سِوَاهُ هُوَ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ إِذْ لَا شَرَفَ لِلْحُرُوفِ ، وَقَدْ ذُكِرَ فِي أَحَادِيثٍ أُخَرٍ مِثْلُ ذَلِكَ وَفِيهَا أَسْمَاءٌ لَيْسَتْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا أَنْ لَفْظَ اللَّهِ مَذْكُورٌ فِي الْكُلِّ فَيُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ" إِنَّتَهَى (٢)

أحاديث في اسم الله الأعظم

روى أبو داود عن أنس - رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ).

فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » (٣)

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: (اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) فقال: " لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب " (٤)

١) بيان مشكل الآثار - الطحاوي - (١ / ٩٧)

٢) انظر تحفة الأحوزي - (٨ / ٣٧٥)

٣) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٠) (١٦٤٠)

٤) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٣٠)

(الله) الاسم الأعظم:

ذهب كثير من أهل العلم إلى أن هذا الاسم هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب .
قال التستري : " الله : هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها " وممن قال بهذا ابن خزيمة والطحاوي والطبي والطبري والألباني وشيخنا يحيى الحجوري وغيرهم .

(الحي القيوم)

ذهب بعض أهل العلم إلى أن الاسم الأعظم هو (الحي القيوم) لاشتمال آية الكرسي على هذين الاسمين، ولما تقدم ذكرهما في حديث أنس عند أبي داود، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم الحث بالدعاء بهذين الاسمين.

فقد روى النسائي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة - رضي الله عنها - "ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين" (١)

وروى الترمذي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر قال : "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث" (٢)

قال ابن القيم - رحمه الله - : "ومن تجريبات السالكين التي جربوها فألفوها صحيحة : أن من أدمن يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت أورثه ذلك حياة القلب والعقل، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - شديد اللهج بها جدا وقال لي يوما : لهذين الاسمين وهما الحي القيوم تأثير عظيم في حياة القلب وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم" (٣)

وعلى كل فإن الذي ينبغي على العبد أن يكثر من الدعاء بهذه الأسماء التي جاءت في هذه الأحاديث وفي آية الكرسي فإن الاسم الأعظم لا يخرج عنها.

فائدة :

قال بعض أهل العلم: إن الذي عنده علم من الكتاب - كما في قصة ملكة سبأ- أنه دعا الله باسمه الأعظم بأن يحضر عرش ملكة سبأ فاستجاب الله له فإذا هو مستقر أمامه.
قال المفسر الطبري - رحمه الله - : (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ [النمل : ٤٠]) وهو رجل من الإنس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر،

١) حسن: رواه والبزار والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٦٠) (٦٦١) - (حسن)

٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترمذي - (٣ / ١٧٢) (٢٧٩٦)

٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - (١ / ٤٤٨)

الذي إذا دعي به أجاب: (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) فدعا بالاسم وهو عنده قائم، فاحتمل العرش احتمالا حتى وُضع بين يدي سليمان، والله صنع ذلك.. "اهـ" (١)

وقال ابن كثير - رحمه الله - { قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ { قال ابن عباس: وهو آصف كاتب سليمان. وكذا رَوَى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان: أنه آصف بن برخياء، وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم" (٢) .

تنبيه:

يشترط في إجابة الدعاء تحقق الشروط وانتفاء الموانع، حتى لو وُفّق الداعي للدعاء باسم الله الأعظم ولم تتحقق الشروط أو وجدت الموانع فإنه لا يستجاب له، دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، ولست بصدد ذكر الشروط والموانع في هذه الرسالة فهي مذكورة في مواضعها، وقد ذكرتها في كتابي (اغتنام فعل الخيرات في المواسم والمناسبات) في مبحث مستقل فليراجع.

اشتغال آية الكرسي على بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العليا:

أولاً: الأسماء: الله ، الحي، القيوم ، العلي ، العظيم.

معنى لفظ الجلالة : (الله)

الله: هو المألوه المعبود، ، الذي اتصف بصفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وتضمن هذا الاسم أفراد الله سبحانه وتعالى بجميع أنواع العبادات ، وهذا الاسم هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وهو أعرف المعارف، وجميع الأسماء الحسنى تابعة له. (٣)

قال المفسر الطبري - رحمه الله - القول في تأويل قوله جل ثناؤه: { **الله** } . قال أبو جعفر: وأما تأويل قول الله تعالى ذكره "الله"، فإنه على معنى ما رُوي لنا عن عبد الله بن عباس:- هو الذي يَأْلَهُ كل شيء، ويعبده كل خلق...

فإن قال لنا قائل: فهل لذلك في "فعل ويفعل" أصل كان منه بناءً هذا الاسم؟ قيل: أمّا سماعاً من العرب فلا ولكن استدلالاً. فإن قال: وما دلّ على أن الألوهية هي العبادة، وأنّ الإله هو المعبود، وأنّ له أصلاً في "فعل ويفعل".

١) جامع البيان (تفسير الطبري) - (١٩ / ٤٦١)

٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٦ / ١٩٢)

٣) انظر التفاسير المشار إليها في هذه الرسالة فإن المعنى مستخلص منها.

قيل: لا تمنع^(١) بين العرب في الحكم لقول القائل - يصف رجلاً بعبادة، وبطلب مما عند الله جل ذكره: "تأله فلان" - بالصحة ولا خلاف. ومن ذلك قول روبة بن العجاج:
للهِ دُرُّ الغانياتِ المُدَّةِ^(٢) سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأْلِهِ

يعني: من تعبدني وطلبي الله بعملني.
ولا شك أن "التأله" ، التفعل من: "أله يأله"، وأن معنى "أله" - إذا نُطق به: - عَبَدَ الله. وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه ب "فعل يفعل" بغير زيادة.
١٤٢ - وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع، قال حدثنا أبي، عن نافع بن عمر، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس: أنه قرأ (وَيَذَرُكَ وَإِلَهِكَ) [سورة الأعراف: ١٢٧] قال: عبادتك، ويقال: إنه كان يُعبد ولا يَعبد. اهـ^(٣)

معنى: ((الحي))

الحي: من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، بينما القيوم مستلزم لصفات الأفعال كما سيأتي، وحياة الله سبحانه وتعالى ليس لها بداية كما أنه ليس لها نهاية ولا يعتري حياته سبحانه سنة ولا نوم ولا موت سبحانه وتعالى.

فاشتملت هذه الآية العظيمة على اسم الله الكريم الحي، الذي يتضمن الحياة المطلقة من جميع الوجوه التي ليس فيها نقص بوجه من الوجوه فهو الأول الذي ليس قبله شيء وهو الآخر الذي ليس بعده شيء وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، قال تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: ٣]

قال المفسر الطبري - رحمه الله - : "وأما قوله: "الحي" فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها" اهـ^(٤).

وقال المفسر السعدي - رحمه الله -: "وقوله: {الحي القيوم} هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنی دلالة مطابقة وتضمنا ولزوما، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، ... اهـ^(٥)

(١) لا تمنع: أي لا اختلاف.

(٢) المدّة: جمع مده. ومده فلاناً يمدّه مدّهًا: نعت هيئته وجماله وأثنى عليه ومدحه. و "استرجعن": قلن "إنا لله وإنا إليه راجعون يقلننا حسرة عليه كيف تنسك و هجر الدنيا، بعد الذي كان من شبابه وجماله وصبوته!.

(٣) جامع البيان (تفسير الطبري) - (١/ ١٢٢) (١/ ١٢٣)

(٤) جامع البيان (تفسير الطبري) - (٥/ ٣٨٦) (٥/ ٣٨٧)

(٥) تفسير السعدي - (١/ ١١٠)

معنى: ((القيوم))

القيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، القيوم لأهل السماوات والأرض القائم بتدبيرهم وأرزاقهم وجميع أحوالهم، والقيام بمعنى الدوام، والقيوم مستلزم لصفات الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير. وهو القائم على السماوات والأرض والحافظ لهما، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ} [الروم: ٢٥]

قال المفسر الطبري - رحمه الله - : "وأما قوله: "القيوم"، فإنه "الفيعل" من "القيام" وأصله "القيوم"، سبق عين الفعل، وهي "واو"، "ياء" ساكنة، فأدغمنا فصارتا "ياء" مشددة.

وكذلك تفعل العرب في كل "واو" كانت للفعل عينا، سبقتها "ياء" ساكنة. ومعنى قوله: "القيوم"، القائم برزق ما خلق وحفظه، كما قال أمية:

لم تخلق السماء والنجوم... والشمس معها قمر يعوم
قدره المهيم من القيوم... والجسر^(١) والجنة والجحيم
إلا لأمر شأنه عظيم^(٢) اهـ.

وقال المفسر السعدي - رحمه الله - : "والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري، ولهذا قال بعض المحققين: إنهما الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ومن تمام حياته وقيوميته أن { لا تأخذه سنة ولا نوم } والسنة النعاس" اهـ^(٣)

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر: ٤١]

قال المفسر البغوي - رحمه الله - في تفسيره: "قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: قَامَتَا عَلَى غَيْرِ عَمَدٍ بِأَمْرِهِ. وقيل: يدوم قيامهما بِأَمْرِهِ. اهـ^(٤)

(١) في مراجع أخرى (والحشر)

(٢) جامع البيان (تفسير الطبري) - (٥ / ٣٨٨)

(٣) تفسير السعدي - (١ / ١١٠)

(٤) تفسير البغوي - (٦ / ٢٦٧)

وقال السعدي - رحمه الله - : " ومن آياته العظيمة أن قامت السماوات والأرض واستقرتا وثبتتا بأمره فلم تنزلزلا ولم تسقط السماء على الأرض. اهـ^(١) "

معنى ((العلي))

العلي بذاته فوق عرشه، العلي في صفاته التي لاتماثل صفات خلقه، العلي بقهره لجميع مخلوقاته، العلي بقدره لكمال صفاته، المتعالي عن الأشباه والأنداد والأمثال والأضداد وعن أمارات النقص ودلالات الحدوث ، الذي هو أعلى من كل شيء، العلي الشأن الذي لا تقيدته الأكوان ، وذلك دال على أن جميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه.

فله علو الذات : وهو أنه مستو على عرشه فوق جميع خلقه، مباين لهم، وهو مع هذا مطلع على أحوالهم، مشاهد لهم ،مدبر لأموارهم الظاهرة والباطنة ،متكلم بأحكامه القدريّة، وتديبراته الكونية وبأحكامه الشرعية.

وأما علو القدر: فهو علو صفاته وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق. وله علو القهر: فإنه القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلّهم، فنواصيهم بيده، وله الملك كله ، فهو الذي على العرش استوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف بها " اهـ^(٢) .

أقسام العلو:

قسم أهل العلم صفة العلو إلى ثلاثة أقسام:

الأول: علوقدر وهي المكانة.

والثاني: علوقهر، وهو أنه قاهر فوق عباده.

والثالث: علو ذات ، وهو أنه عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: "...وكما قال بعض أهل العلم: إن في القرآن ألف دليل يدل على علو الله جل وعلا.

وعلو الله جل وعلا قسمه بعض العلماء إلى قسمين فقالوا العلو ينقسم إلى :

* علو الذات .

* وإلى علو الصفات .

والمشهور عند أهل العلم أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، العلو هو :

* علو الذات .

* علو القَهْرُ .

* وعلو القَدْرُ .

القولان متقاربان لأن علو الذات قسم وعلو الصفات جعلوا منه القهر والقدر وغير ذلك من الصفات" اهـ^(٣)

١) تفسير السعدي - (١ / ٦٤٠)

٢) انظر التفاسير المشار إليها في هذه الرسالة فإن المعنى مستخلص منها.

٣) شرح العقيدة الواسطية (١ / ٣٣٣)

معنى ((العظيم))

العظيم الذي يتصف بجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء، الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم .

والله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم، فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له، ولا يحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه .

ومعاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسع، فله العلم المحيط والقدرة النافذة والكبرياء والعظمة.

ومن عظمته أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يقول الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما عذبتُه" (أخرجه الطيالسي وصححه الألباني) فله تعالى الكبرياء والعظمة، وهما وصفان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما أحدهما خلقه.

النوع الثاني: من معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله، فإنه جل جلاله يستحق من عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

ومن تعظيمه أن يتقى حق تقاته، فيطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

ومن تعظيمه تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال، قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج : ٣٢] وقال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} [الحج : ٣٠] .

ومن تعظيمه أن لا يعترض أحد على شيء مما خلقه أو شرعه ، فهو الذي لا منتهى لعظمته ولا يتصور كنه ذاته ،الكبير الذي هو أعظم من كل شيء" اهـ^(١) .

وأما الصفات التي اشتملت عليها آية الكرسي:

- الألوهية.
- الربوبية.
- الحياة.
- القيومية.
- الملك.
- العلم.
- علو.
- العظمة.

(١) انظر التفاسير المشار إليها في هذه الرسالة فإن المعنى مستخلص منها.

معانيها:

صفة الألوهية:

أما صفة الألوهية في هذه الآية العظيمة فتؤخذ من لفظ الجلالة (الله) وأما معنى الألوهية فقد تقدم معناها عند هذا الاسم، وخلاصته هو: إفراد الله بالعبادات العملية كالذبح والنذرونحوه، والعبادات القولية كالدعاء والأيمان ونحو ذلك، والعبادات القلبية كالخوف والرجاء والرغبة والرغبة والمحبة والتوكل ونحو ذلك.

صفة الربوبية:

وأما صفة الربوبية فتؤخذ من أفعاله سبحانه وتعالى التي ذكرت في هذه الآية من القيام على السماوات والأرض وما بينهما، وتصريفهما وتدبير شؤونهما. ومعنى الربوبية: هو توحيد الله في أفعاله، أي إفراده بالخلق والرزق والتدبير.

صفة الملك:

أما صفة الملك في هذه الآية العظيمة فتؤخذ من قوله تعالى: "له ما في السماوات والأرض" وأما معناها: فيؤخذ من أسماء الله الحسنى المالك والملِك التي تتضمن صفة الملك، والمعنى: المالك لجميع الممالك، فصفة الملك المطلق له، والمملكة كلها علويها وسفليها له والتصريف والتدبير كله له، مالك السماوات والأرض المتصرف فيهما بحكمه، الذي له الملك فهو الموصوف بصفات الملك وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر، والتدبير، الذي له التصرف المطلق، في الخلق والأمر والجزاء، ومعنى مَلِكٍ : أي ملك عظيم الملك ، وملِك: صيغة مبالغة. (١)

صفة العلم:

وأما صفة العلم في هذه الآية العظيمة فيؤخذ من قوله تعالى: "يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم". ومن أسماء الله تعالى العالم والعليم والعلَّام التي تتضمن صفة العلم، والمعنى: العليم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، العليم بما يصلح للعباد فيشرعه لهم فيعلم تعالى الأمور المتأخرة أولاً وأبداً ويعلم جليل الأمور، وحقيقرها، وصغيرها، وكبيرها، ويعلم تعالى ظواهر الأشياء وبواطنها، غيبها وشهادتها ما يعلم الخلق منها وما لا يعلمون، ، ويعلم تعالى ما تحت الأرض السفلى كما يعلم ما فوق السماوات العلى، ويعلم تعالى جزئيات الأمور، وخبائيا الصدور، وخفايا ما وقع وما يقع في أرجاء العالم وأنحاء المملكة، علمه لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان ولم يكتسبه من أحد، وما من علم في الأرض إلا وهو أثر من علمه سبحانه وتعالى " وسع كل شيء علماً " [طه/٩٨] أحاط بالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء، فيعلم تعالى نفسه الكريمه ونعوته المقدسة وأوصافه العظيمة ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت . " يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ "]

(١) انظر التفاسير المشار إليها في هذه الرسالة فإن المعنى مستخلص منها.

الآية: البقرة/٢٥٥] والعلامة بمنزلة العليم وبناء فعال بناء الكثير، ف"علام" صيغة مبالغة والمراد كثير العلم الكامل فيه اهـ^(١)

صفة الحياة:

وأما صفة الحياة في هذه الآية العظيمة فتؤخذ من اسم الله (الحي) وقد تقدم معناها عند هذا الاسم.

صفة القيومية:

وأما صفة القيومية لله تعالى في هذه الآية فتؤخذ من اسمه تعالى (القيوم) وقد تقدم معناها عند هذا الاسم.

صفة العلو:

وأما صفة العلو في هذه الآية العظيمة فيؤخذ من اسم الله تعالى (العلي) وقد تقدم معناها عند هذا الاسم.

صفة العظمة:

وأما صفة العظمة في هذه الآية العظيمة فيؤخذ من اسم الله تعالى (العظيم) وقد تقدم معناها عند هذا الاسم.

اشتغال آية الكرسي على نفي الصفات التي لا تليق بالله عز وجل:
ومنها السنة والنوم والعجز.

معنى السنة:

السنة: بتضعيف السين وكسرها وفتح النون وتخفيفها: هو النعاس، وهو مقدمات النوم. فهاتان صفتان منفيتان عن الله سبحانه وتعالى لا تليقان به، وهو منزله عنهما، وهما من صفات البشر في الحياة الدنيا، بينما هما منفيتان عنهم في الجنة لأنها دار الكمال والسلام؛ ولأن النعاس والنوم أثر من آثار التعب والإعياء وليس في الجنة هذه الصفات فمن باب أولى أن ينزه الله عنهما.

فقد روي الإمام مسلم عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات، فقال: "إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - وفي رواية أبي بكر: النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه".

(١) انظر التفاسير المشار إليها في هذه الرسالة فإن المعنى مستخلص منها.

قال المفسر البغوي - رحمه الله -: { لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } السنة: النعاس وهو النوم الخفيف، والوسنان بين النائم واليقظان، يقال منه: وسن يسن وسنا وسنة، والنوم هو الثقل المزيل للقوة والعقل، قال المفضل الضبي: السَّنة في الرأس والنوم في القلب، فالسَّنة أول النوم وهو النعاس، وقيل السَّنة في الرأس والنعاس في العين، والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء، نفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة وهو منزّه عن الآفات .. "اهـ" (١).

وقال المفسر ابن كثير - رحمه الله - : "وقوله: { لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } أي: لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه خافية ، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم، فقولُه: { لَا تَأْخُذْهُ } أي: لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ولهذا قال: { وَلَا نَوْمٌ } لأنه أقوى من السَّنة. وفي الصحيح عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل وعمل الليل قبل عمل النهار حجاب النور -أو النار- لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" اهـ (٢).

ما يتعلق بنوم الإنسان:

النوم بالنسبة للإنسان في الدنيا صفة كمال في حقه، وقد يكون صفة نقص من بعض الوجوه، لحاجة الإنسان وضعفه إذ لا غنى له عن ذلك، وقد يضر النوم إذا زاد أو نقص، ولأن النوم أخو الموت، وذلك أن النوم يأتي نتيجة الإرهاق والأتعاب التي تعتري الإنسان في هذه الدنيا، بينما لا يحتاج الإنسان إلى النوم في الجنة لأنها منزهة عن الأتعاب والإرهاق والهموم والأحزان وغير ذلك؛ ولأن النوم في الجنة يفوت على العبد كمال التمتع فيها، فيكون صفة نقص للإنسان في الجنة، فجعل الله تعالى الجنة منزهة عن النوم والموت. وأما الله سبحانه وتعالى فإنه منزّه عن ذلك كله في الدنيا والآخرة، فلا يعتريه ما يعتري الإنسان في الدنيا، ولا يحتاج إلى ما يحتاجه الإنسان في الجنة لغناه عن ذلك، ولذلك نفى عن نفسه الكريمة النوم ومقدماته لكمال حياته وقيوميته.

فقد روى البيهقي عن جابر - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "النوم أخو الموت و لا ينام أهل الجنة" (٣).

قال المناوي - رحمه الله -: قوله: (النوم أخو الموت) لانقطاع العمل فيه (ولا يموت أهل الجنة) فلا ينامون ، قاله لمن سأل أينام أهل الجنة ؟ وفيه إشارة إلى ذم كثرة النوم لكثرة مفاسده الأخروية بل والدنيوية فإنه يورث الغفلة والشبهات وفساد المزاج الطبيعي والنفساني

(١) تفسير البغوي - (١ / ٣١٢)

(٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (١ / ٦٧٨)

(٣) صحيح: صححه الألباني في " السلسلة الصحيحة (٣ / ٧٤) (١٠٨٧) : وانظر حديث رقم : (٦٨٠٨) في صحيح الجامع

ويكثر البلغم والسوداء، ويضعف المعدة، وينتن الفم، ويولد دود القرح، ويضعف البصر والباه حتى لا يكون له داعية للجماع، ويفسد الماء، ويورث الأمراض المزمنة في الولد المتخلق من تلك النطفة حال تكوينه، ويضعف الجسد، هذا في النوم في غير وقت العصر والصبح فإنه فيهما أعظم ضرراً،... إلخ" اهـ^(١).

تنزيه الله تعالى عن العجز

نفى الله سبحانه وتعالى عن نفسه صفة العجز كما في قوله تعالى: {ولا يؤوده حفظهما} وأثبت لنفسه القدرة على كل شيء، فلا يعجزه شيء، ولا يغيب عنه شيء، يقول للشيء كن فيكون، مقاليد الأمور كلها بيده، ونواصي العباد في قبضته، وقلوبهم بين إصبعين من أصابعه، بسط الأرض ورفع السماوات، وحفظها بلا عمد، وقهر جميع المخلوقات، وحفظ جميع الكائنات، وتكفل بأرزاق جميع الدواب، كفه ملأى يرفع القسط ويخفضه، يحيي ويميت، ويعافي من جميع الأسقام، ويعطي ويمنع، ويرفع ويخفض، ويعز ويذل، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، لا يخرج شيء عن قدرته وتقديره، ولا يكون إلا ما يريد، ولا يفر أحد من قبضته وسلطانه، أفلا يدل ذلك على كمال قدرته وقوته، وعلى جبروته وعزته سبحانه وتعالى؟

قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّسْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت: ٢٠]

وقد جاء قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} في ثلاثة وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم

ولهذا لعن الله اليهود حينما وصفوا الله بالفقر فقال سبحانه: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: ٦٤]

معنى اسم الله (القدير)

نفى الله - سبحانه وتعالى - عن نفسه الكريمة صفة العجز وأثبت لنفسه صفة القدرة، فقد ثبت لله في الكتاب والسنة اسم القدير والقادر والمقتدر، ويؤخذ من هذه الأسماء المباركة صفة القدرة لله عز وجل، والمعنى:

أن الله هو القادر عظيم القدرة، قادر بالثواب والعقاب على عباده، مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون، مقدر كل شيء وقاضيه، وهو القادر الذي لا يعجزه شيء، ولا يفوته مطلوب، وهو القدير كامل القدرة، الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، وهو المقتدر التام القدرة الذي لا يمتنع عليه شيء، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، قال تعالى: {مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُكُمْ إِلَّا

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير - (٦ / ٣٩٠)

كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [٢٨: لقمان]، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد^(١).

فائدة:

نفي الصفات التي لا تليق بالله سبحانه وتعالى جاءت على سبيل الإجمال إلا لحاجة، بينما إثبات الصفات لله تعالى جاءت على سبيل التفصيل.
فمثال الإجمال في النفي قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى : ١١]

وقوله تعالى: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل : ٧٤]
وفي هذه الآية نفى الله تعالى عن نفسه الكريم صفة النوم والنعاس واثبت كما ضدتهما من الحياة والقيومية.

قال العلامة العثيمين - رحمه الله - : "أما الصفات السلبية^(٢) فلم تذكر غالبا إلا في الأحوال التالية:

الأولى: بيان عموم كماله، كما في قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}.
الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله: {أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا}.

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين، كما في قوله: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا عِيبَ}، وقوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} "اهد^(٣)".

وأما الإثبات فكثير جدا، فقد أثبت الله لنفسه أسماء وصفات في كتابه وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ليس هذا موضع ذكرها، وأسماء الله وصفاته ليس لها حصر، فلا يحصيها إلا الله سبحانه وتعالى.

تفسير قوله تعالى: {له ما في السماوات وما في الأرض}

دلت على عظيم ملك الله لسعة السماوات والأرض، وسعة ما فيها من أشجار وأحجار وجبال وبحار وأنهار ومخلوقات، وما فيهما من أفلاك وأملاك وإنس وجان وطيور وحيوان، وكلها تسبح بحمده وتخضع لعظمته وتذل لقهره .

فالكل ملك لله يتصرف فيهم كيف يشاء، لا معقب لحكمه، ولا اعتراض على أقداره، قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦]

(١) انظر التفاسير المشار إليها في هذه الرسالة فإن المعنى مستخلص منها.

(٢) يعني بالسلبية: المنفية، والتعبير بالمنفية أولى والله أعلم.

(٣) القواعد المثل في صفات الله وأسمائه الحسنى - (١ / ٢٤)

حتى مشركو قريش مقرون بذلك كما أخبر الله عنهم في كتابه الكريم: { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ } [المؤمنون : ٨٤ - ٨٩]

قال ابن كثير - رحمه الله - : "وقوله: { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } إخبار بأن الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه كقوله: { إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } [مريم: ٩٣ - ٩٥] اهـ^(١) ..

- ومن عظمت سبحانه وسعة ملكه أن كل ما في السماوات من أفلاك وأملاك، وما في الأرض من إنسان وحيوان وطيور وجمادات تسبح لله وتمجده وتقدس له وتعبد له .
قال سبحانه: {سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الصف: ١]
وقال سبحانه: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء : ٤٤]

وقال تعالى: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التغابن : ١]

وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج : ١٨]

فكل الناس تحت قهره وملكه ومنقادون لأمره مسلمهم وكافرهم، حتى لولم يعبد الكفار فإنهم لا يخرجون عن إرادته وقدرته وتدبيره، فإنهم مفتقرون إليه لا يستغنون عنه طرفة عين فهم في ملكه.

قال تعالى: {وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [الرعد : ١٥]

وقال تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَنْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران : ٨٣]

تفسير قوله تعالى: {طوعا وكرها}

قال المفسر السعدي - رحمه الله - : " { وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها } أي: الخلق كلهم منقادون بتسخيره مستسلمون له طوعا واختيارا، وهم المؤمنون المسلمون المنقادون لعبادة ربهم، وكرها وهم سائر الخلق، حتى الكافرون مستسلمون لقضائه وقدره لا خروج لهم عنه، ولا امتناع لهم منه، وإليه مرجع الخلائق كلها، فيحكم بينهم ويجازيهم بحكمه الدائر بين الفضل والعدل" اهـ^(٢) .

١) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (١ / ٦٧٩)

٢) تفسير السعدي - (١ / ١٣٧)

وقال المفسر ابن كثير - رحمه الله - : " { وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } أي: استسلم له من فيهما طوعا وكرها، كما قال تعالى: { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } [الرعد: ١٥]
وقال تعالى: { أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ } * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [النحل: ٤٨ - ٥٠].
فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرها، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم، الذي لا يخالف ولا يمانع" اهـ^(١).

وقال المفسر البغوي - رحمه الله - : "واختلفوا في قوله { طَوْعًا وَكَرْهًا } قال الحسن : أسلم أهل السموات طوعا وأسلم من في الأرض بعضهم طوعا وبعضهم كرها، خوفا من السيف والسبي،.. "اهـ"^(٢)

اشتغال آية الكرسي على إثبات الشفاعة :

تعريف الشفاعة: هي التوسط للغير بجلب نفع أو دفع ضرر، وهي ثابتة في الكتاب والسنة والإجماع .

فمن أدلة إثباتها ما رواه البخاري ومسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا فَإِذَا أُدْعِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةٌ لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».

والأدلة من الكتاب والسنة في إثبات الشفاعة كثيرة جدا، ومنها: قوله تعالى في آية الكرسي: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)

أي: لا أحد يتجاسر أن يشفع إلا بإذنه، ولا يستطيع أحد أن يتكلم فضلا عن أن يشفع إلا بإذنه تعالى، قال تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبا: ٣٨]

وذلك أن الشفاعة ملك لله لا يشفع أحد إلا بإذنه قال تعالى: {قُلِ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزمر: ٤٤]

فإذا أراد الله رحمة من شاء من عباده أذن فيه بالشفاعة بواسطة من أراد أن يكرمه ممن سيشفع له، فهي كرامة للشافع ورحمة للمشفوع له.

ولا تكون الشفاعة إلا لأهل التوحيد ولا تكون لأهل الشرك ، فهي منفية عن المشركين ولا تنفعهم قال تعالى: "فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ" [المدثر : ٤٨]

وقال تعالى: { وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [الزخرف : ٨٦]

وهي لأهل الكبائر من الموحدين ممن لا يشرك بالله شيئا.

١) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٦٩ / ٢)

٢) تفسير البغوي - (٦٣ / ٢)

فقد روى أبو داود وغيره عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ : « شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي »^(١).
 وذلك أن الشفاعة خاصة بأهل التوحيد لما ثبت في البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»
 وقال تعالى: {لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} [مريم: ٨٧]
 قال ابن كثير: "العهد هو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها". اهـ
 فيأتي الشفعاء يشفعون لمن رضي الله قوله وفعله من عباده الموحدين قال تعالى: { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى } [الأنبياء: ٢٨]
 وخلاصة القول في الشفاعة أنها لا تكون إلا لمن وحد الله ولم يشرك به شيئا بشروط ثلاثة سيأتي تفصيلها :

أقسام الشفاعة:

الشفاعة أقسام كما يلي:

مثبتة ومنفية.

والمثبتة قسمان:

- دنيوية.

- وأخروية.

والدنيوية قسمان:

- مباحة.

- محرمة.

والشفاعة الأخروية قسمان:

- عامة:

- خاصة:

العامة :

يشترك فيها نبينا صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحون والشهداء والأفراط، وهي أقسام:

١- الشفاعة لرفع درجات أناس في الجنة.

٢- الشفاعة لأناس استحقوا دخول النار ألا يدخلوها.

٣- الشفاعة لخروج أناس من النار ثم دخولهم الجنة.

والخاصة:

(١) صحيح: رواه أبو داود والبخاري وابن حبان في صحيحه والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

تكون لنبينا صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها أحد وهي أقسام:

١- الشفاعة الكبرى في الموقف.

٢- الشفاعة في دخول الجنة.

٣- شفاعته لعمه أبي طالب.

والشفاعة المنفية:

هي التي نفاها الله عز وجل في كتابة عن المشركين بقوله: { فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ } [المذثر : ٤٨]

وقوله: { لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا } [مريم: ٨٧] والعهد هو توحيد الله تعالى.

وقال تعالى: { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [الأنعام : ٥١]

والشفاعة المنفية هي ما كان فيها شرك ، وما اختل فيها شرط من شروط الشفاعة الآتية قريباً . قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } { فَتَنَفَىٰ عَمَّا سِوَاهُ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَتَنَفَىٰ أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنَ الْمُلْكِ أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ ؛ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْمَلَائِكَةِ : { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ } . وَقَالَ : { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } . فَهَذِهِ " الشَّفَاعَةُ " الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ ؛ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ " اهـ (١) .

تفاصيل أقسام الشفاعة:

أولا الشفاعة الدنيوية:

وهي قسمان:

- الشفاعة المباحة وهي: التوسط للغير إلى ذي جاه أو سلطان أو نحوه في أمر مباح لقضاء حاجة أو دفع ضرر أو نحو ذلك، وقد تكون مستحبة إذا كان التوسط في أمر مستحب .
والشفاعة المحرمة هي: التوسط للغير في أمر محرم أو لإسقاط حد من حدود الله.

دليل الشفاعة المباحة: حديث أبي موسى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ ، أَوْ طَلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: " اشفَعُوا تُوجَرُوا وَيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ " رواه البخاري.

(١) مجموع الفتاوى - (٧ / ٧٧)

ودليل الشفاعة المحرمة: حديث عائشة - رضي الله عنها - أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « أَتَسْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ». ثُمَّ قَامَ فَأَخْطَبَ فَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » متفق عليه.

ثانيا الشفاعة الأخروية:

وهي قسمان: عامة وخاصة

أولا الشفاعة العامة:

وهي ثلاثة أقسام:

١ - الشفاعة لرفع درجات أناس في الجنة.

دليلها: ما رواه مسلم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ « إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ ». فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ « لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ». ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ. وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ ». **الشاهد:** " وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ "

٢ - الشفاعة لأناس استحقوا دخول النار ألا يدخلوها.

دليلها:

ما روى أبو داود وغيره عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ : « شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي »^(١). وهذا الحديث عام يستدل به على الشفاعة عموما ، فيدخل فيه الذين دخلوا النار فيخرجون منها بشفاعة الشافعين، والذين استحقوا النار فينجون منها بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الشفعاء فلا يدخلونها، وذلك أن أهل الكبائر تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء غفر لهم فلا يدخلون النار، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم، ثم يخرجون من النار.

(١) صحيح: رواه أبو داود والبخاري وابن حبان في صحيحه والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

٣- الشفاعة لخروج أناس من النار ودخولهم الجنة.

دليلها:

ما روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري الطويل عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر المرور على الصراط ومن نجي عليه ثم قال: "وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيُصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ وَيَحْرِمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ أَذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ.

فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ أَذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَأَقْرَأُوا {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا} فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيتَ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا فَيُلْقُونَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ إِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيُخْرِجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عِتْقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خَيْرَ قَدَّمُوهُ فَيَقَالُ لَهُمْ لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ".

فهذه الأقسام من الشفاعات عامة ، يشترك فيها نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والملائكة والشهداء والصالحون والأفراط:

دليل شفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين:

تقدم في حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ "

- دليل شفاعة الشهداء:

روى الترمذي وابن ماجه عن المقدم بن معد يكرب - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفرع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه" (١)

- دليل شفاعة الأفراط (الأولاد)

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٥)

روى ابن ماجه عن عَبْدِ السَّلْمِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ ، إِلَّا تَقَوَّهَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ ، مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ" (١).

والحنث: هو الحلم.

وروى أحمد وابن حبان عن قرّة بن إياس - رضي الله عنه - أن رجلاً كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابن له فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " تحبه " قال: نعم يا رسول الله أحبك الله كما أحبه، ففقدته النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " ما فعل فلان بن فلان " قالوا يا رسول الله مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه: " ألا تحب أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك " فقال رجل يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا قال: " بل لكلكم " (٢)

ثانيا الشفاعة الخاصة:

١- الشفاعة الكبرى في أرض المحشر.

دليلها: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ أُنِيَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمًا بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَذَرُونَ بِي ذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيَسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ وَتَذْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْعَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيفُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ انْتُوا آدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا فَيَقُولُ آدَمُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ -صلى الله عليه وسلم-.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَذَكَرَ كَذْبَاتِهِ نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى مُوسَى. فَيَأْتُونَ مُوسَى -صلى الله عليه وسلم- فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى -صلى الله عليه وسلم- إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أَوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى عِيسَى -صلى الله عليه وسلم-. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي

(١) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٩٣)

(٢) صحيح صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٠٧)

الْمَهْدِ وَكَلِمَةً مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَاشْفَعْنَا لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى -صلى الله عليه وسلم- إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ أَشْفَعْنَا لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهَمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ النَّثَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلِّ نَعْمَةً أَشْفَعُ تُشْفَعُ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيحِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى « متفق عليه

وفي رواية لهما: " فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيَقَالُ لِي انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ »
وفي رواية للبخاري: " فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا ثُمَّ أَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ فَأَقْعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ ، أَوْ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ ".
وَكَانَ قَتَادَةَ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا أَيْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ.

٢- الشفاعة في دخول الجنة.

دليلها حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتِحْ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ بِكَ أَمِرتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ » رواه مسلم
وعنه أيضا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرُغُ بَابَ الْجَنَّةِ » رواه مسلم.
وروى مسلم أيضا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا ».

٣- شفاعته لعمه أبي طالب.

دليلها حديث العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ قَالَ « نَعَمْ هُوَ فِي ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » متفق عليه
وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ذَكَرَ عِنْدَهُ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ « لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ » متفق عليه

والضحضاح: قال النووي - رحمه الله - : " أَمَّا الضَّحْضَاحُ فَهُوَ بَضَادَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ ، وَالضَّحْضَاحُ : مَا رَقَّ مِنَ الْمَاءِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَى نَحْوِ الْكَغْيَيْنِ ، وَاسْتُعِيرَ فِي النَّارِ " اهـ^(١)

وبه قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله .

شروط الشفاعة:

الأول: أن يرضى الله عن الشافع.

الثاني: أن يرضى الله عن المشفوع له.

الثالث: أن يأذن الله بالشفاعة.

دليل الأول والثاني: قوله تعالى: { يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } [طه : ١٠٩]

وقوله تعالى: { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } [الأنبياء: ٢٨]

ودليل الثالث: قوله تعالى: { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } الآية [سبا : ٢٣]

وقوله تعالى في آية الكرسي: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ } [البقرة : ٢٥٥]

وهذه الشروط مجموعة في قوله تعالى: { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } [النجم : ٢٦]

سبب مشروعية الشفاعة

قد يقول قائل: إذا كانت الشفاعة لا تقع إلا بإذن الله، فلماذا الشفعاء إذن؟ فإن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يغفر لهذا الموحد الذي قد رضي قوله وفعله بدون تدخل الشفعاء؟

الجواب: إن من الحكم التي تظهر من مشروعية الشفاعة وتدخل الشفعاء لهما إكرام الله لمن أراد إكرامه من أهل التقى والصلاح وإظهار فضله أمام الملائكة.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي - رحمه الله - : " وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود " اهـ^(٢)

وقال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - : " والحكمة من هذه الوساطة بينها بقوله: " ليكرمه وينال المقام المحمود " ، ولو شاء الله لغفر لهم بلا شفاعة، ولكنه أراد بيان فضل هذا الشافع وإكرامه أمام الناس، ومن المعلوم أن من قبل الله شفاعته؛ فهو عنده بمنزلة عالية؛ فيكون في هذا إكرام للشافع من وجهين:

الأول: إكرام الشافع بقبول شفاعته.

الثاني: ظهور جاهه وشرفه عند الله تعالى " اهـ^(٣)

(١) شرح النووي على مسلم - مشكول - (١ / ٣٥٥)

(٢) التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (٢٩)

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد - (١ / ٣٤٤)

إشكال وجوابه:

قد يقول قائل: هناك شفاعات تحصل بين المخلوقين لبعضهم البعض في الدنيا، فيقوم من له قدرة على التوسط للغير عند ذي جاه أو سلطان لتحقيق مصلحة أو دفع مضرة، فهل هناك مماثلة بين شفاعة الخالق سبحانه وتعالى وشفاعة المخلوق؟

الجواب: ليس هناك مماثلة بينهما؛ لأن شفاعة المخلوق عند المخلوق لا يلزم أن تكون بإذنه، فإن الشافع يتدخل بالشفاعة بدون إذن المشفوع عنده، ولا يلزم أيضا أن يكون الشافع والمشفوع له صالحاً أو مرضياً عند المشفوع عنده، فقد يشفع لأفجر الناس، وقد يحتاج المشفوع عنده إلى تدخل الشافع لأمر أو لآخر فيكون الشافع عوناً للمشفوع عنده.

بينما الشفاعة عند الخالق سبحانه وتعالى لا تكون إلا بعد إذنه، ولا تكون إلا لمن كان موحداً مرضياً عند الله تعالى، ولا يكون الشافع إلا صالحاً، نبياً أو ملكاً أو ولياً، ولا يكون الشافع عوناً لله تعالى ولا يحتاج إليه، فانتفت المماثلة بين الشفاعة عند المخلوق وبين الشفاعة عند الخالق سبحانه من كل وجه والحمد لله، والاشتراك في اللفظ لا يلزم منه الاشتراك في المعنى، فعلى سبيل المثال: الله سمع وبصر، وللمخلوق سمع وبصر، فلا تماثل بين سمع الخالق وبصره وبين سمع المخلوق وبصره، فسمع الخالق وبصره وسعا جميع المسموعات والمبصرات، بينما سمع المخلوق وبصره محدودان وضعيفان، والله المثل الأعلى.

قال العلامة العثيمين - رحمه الله - : "الملوك في الدنيا يحتاجون إلى شفعاء؛ إما لقصور علمهم، أو لنقص قدرتهم؛ فيساعدهم الشفعاء في ذلك، أو لقصور سلطانهم؛ فيتجراً عليهم الشفعاء، فيشفعون بدون استئذان، ولكن الله عز وجل كامل العلم والقدرة والسلطان، فلا يحتاج لأحد أن يشفع عنده، ولهذا لا تكون الشفاعة عنده سبحانه إلا بإذنه لكامل سلطانه وعظمته.

ثم الشفاعة لا يراد بها معونة الله - سبحانه - في شيء مما شفع فيه؛ فهذا ممتنع كما سيأتي في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١) ولكن يقصد بها أمران، هما:

١. إكرام الشافع.
٢. نفع المشفوع له "اهـ".^(٢)

شبهة والرد عليها:

قد يقول قائل: الشفاعة ثابتة بتوسط الصالحين إلى الله تعالى ليشفَعُوا عنده للغير لرفع درجاتهم أو لتكفير سيئاتهم أو نحو ذلك، فنحن نطلب من الأولياء والصالحين أن يشفَعُوا لنا عند رب العالمين سبحانه وتعالى، فما الفرق بين هذه وهذه؟

الجواب: هناك فرق بين هذه وهذه كما بين الثرى والثريا، فتلك شفاعة مثبتة وهذه شفاعة منفية، وذلك من وجوه:

(١) تقدم كلام شيخ الإسلام المشار إليه عند الشفاعة المنفية.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد - (١ / ٣٢٩) - (١ / ٣٣٠)

أولها: أنكم طلبتم الشفاعة من غير مالها إذ طلبتموها من المخلوق نفسه، بينما الشفاعة الثابتة لا تطلب إلا من الله تعالى كما قال سبحانه: { قُلِ اللَّهُ الشَّافِعَةُ جَمِيعًا } [الزمر: ٤٤]

ثانيها: أنكم دعوتهم غير الله من الأموات والغائبين، ودعاء غير الله تعالى شرك أكبر مخرج من الملة، بينما الشفاعة المثبتة يكون طلبها من الله تعالى ودعائه أن يأذن بها.

ثالثها: أن هذا الولي الذي دعوتهم من دون الله، وزعمتم أنه صالح فلا يدري ما حاله، هل هو صالح موحد، أم طالح مشرك، ثم لا يدري هل الله تعالى راض عنه أم لا، ثم إنك أيها الطالب للشفاعة من غير الله ما تدري هل الله راض عنك أم لا، وهل أنت موحد أم مشرك وقد قال تعالى: { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } [الأنبياء: ٢٨]

فصار صنيعكم هذا عين ما كان يفعل مشركو قريش من عبادة الأصنام والملائكة والصالحين ليشفعوا لهم عند الله، قال تعالى: { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } [الزمر: ٣]

رابعها: أن الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله، فمن ذا الذي أذن لكم بالشفاعة حتى طلبتموها من غير الله تعالى؟!

فهذه الشفاعة التي تطلبونها من غير الله اختلت فيها جميع الشروط، وهي منتفية عنكم تماما وهي التي نفاها الله في كتابه العظيم وفي سنة رسوله الكريم.

تنبيه:

لا يجوز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم الآن، فإن من طلبها منه في الدنيا بعد موته فيصدق عليه أنه دعا غير الله من دعاء الأموات ووقع في الشرك، وإنما تطلب من الله تعالى، كأن يقول العبد: اللهم شفّع فيّ نبيك صلى الله عليه وسلم، وأما في الآخرة فيجوز طلبها من النبي صلى الله عليه وسلم لأنه حي حاضر قادر فإنها ستطلب منه ويأذن الله له بالشفاعة كما في حديث الشفاعة العظمى المتقدم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين.

ولمزيد من النظر في باب الشفاعة، انظر كتاب الشفاعة للإمام الوادعي - رحمه الله تعالى.

اشتغال آية الكرسي على سعة علم الله:

دلت هذه الآية العظيمة على كمال علمه الذي لم يسبق بجهل ولم يلحق بنسيان، وكل علوم الدنيا ما هو إلا أثر من علمه سبحانه وتعالى، فإنه يعلم الأمور السابقة واللاحقة، فقد اطلع على جميع المخلوقات العلوية والسفلية ووسع علمه جميع المعلومات، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - في حديثه الطويل في قصة موسى والخضر عليهما السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: قَالَ « وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ ».

فإنه سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، يعلم علوم الدنيا والآخرة يعلم أحوال العباد وأعمالهم وما تخفيه صدورهم، وهو مستوعب على عرشه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سبحانه.

"يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء"
مفاتيح الغيب بيده لا يعلمها إلا هو، قال تعالى: { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام : ٥٩]

قال المفسر السعدي - رحمه الله -: "هذه الآية العظيمة، من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه. وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات، والأشجار، والرمال والحصى، والتراب، وما في البحار من حيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحتويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها. { وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ } من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفار، والدنيا والآخرة { إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ } من حبوب الثمار والزرورع، وحبوب البذور التي يبذرها الخلق؛ وبذور النواابت البرية التي ينشئ منها أصناف النباتات. { وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ } هذا عموم بعد خصوص { إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } وهو اللوح المحفوظ، قد حواها، واشتمل عليها، وبعض هذا المذكور، يبهز عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته، في أوصافه كلها. وأن الخلق -من أولهم إلى آخرهم- لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم، الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد المحيط. وجل من إله، لا يحصي أحد ثناء عليه، بل كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، فهذه الآية، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث" اهـ^(١).

تفسير قوله تعالى: { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ }

قال المفسر البغوي - رحمه الله - { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } قال مجاهد وعطاء والسدي: { مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ } أمر الدنيا { وَمَا خَلْفَهُمْ } أمر الآخرة، وقال الكلبي: { مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ } يعني الآخرة لأنهم يقدمون عليها { وَمَا خَلْفَهُمْ } الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم، وقال ابن جريج: ما بين أيديهم ما مضى أمامهم، وما خلفهم ما يكون بعدهم، وقال مقاتل: ما بين أيديهم، ما كان قبل خلق الملائكة وما خلفهم أي ما كان بعد خلقهم، وقيل: ما بين أيديهم أي ما قدموه من خير أو شر وما خلفهم ما هم فاعلوه" اهـ^(٢).

قلت: وهذه الأقوال كلها متقاربة، والمعنى واحد أنه سبحانه وتعالى يعلم ذلك كله.

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله - : "وقوله: { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات: ماضيها وحاضرها ومستقبلها كقوله إخباراً عن الملائكة: {

(١) تفسير السعدي - (١ / ٢٥٩)

(٢) تفسير البغوي - (١ / ٣١٢)

وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا {
[مریم: ٦٤] .

وقوله: { وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ } أي: لَا يَطْلُعُ أَحَدٌ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا مَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لَا يَطْلَعُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ إِلَّا بِمَا أَطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ: { وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } [طه: ١١٠] اهـ^(١)

فإن الله الأسماء الحسنى والصفات العليا، بلا تمثيل ولا تكييف، ولا تعطيل ولا تحريف، فإنه لم يخبرنا عن كيفيةها، فهذا لا يجوز السؤال عن كيفية صفاته أو تمثيلها بصفات المخلوقين، كما أنه لا يجوز تعطيلها عن الخالق سبحانه، فقد أثبت لنفسه صفات ونفى أن تكون مماثلة لصفات المخلوقين فقال سبحانه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى: ١١]

ومن سعة علمه أنه لو كانت الأشجار كلها أقلاما، والبحار مدادا ومن ورائها سبعة أبحر، ثم كتبت بها كلماته لنفدت البحار على سعتها وجفت، وتعطلت الأقلام على كثرتها وتكسرت وكلمات الله لم تنفد ولم تنفذ.

قال تعالى: { وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [لقمان: ٢٧]

وقال تعالى: { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا } [الكهف: ١٠٩]

قال المفسر السعدي - رحمه الله - : "ثم أخبر عن سعة كلامه وعظمة قوله، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ، وتنبهر له العقول، وتحير فيه الأفئدة، وتسيح في معرفته أولو الأبواب والبصائر، فقال: { وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ } يكتب بها { وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ } مدادا يستمد بها، لتكسرت تلك الأقلام ولفني ذلك المداد، ولم تنفذ { كَلِمَاتُ اللَّهِ } تعالى، وهذا ليس بمبالغة لا حقيقة له، بل لما علم تبارك وتعالى، أن العقول تتقاصر عن الإحاطة ببعض صفاته، وعلم تعالى أن معرفته لعباده، أفضل نعمة، أنعم بها عليهم، وأجل منقبة حصلوها، وهي لا تمكن على وجهها، ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك كله، فنبههم تعالى تنبيهها تستنير به قلوبهم، وتنشرح له صدورهم، ويستدلون بما وصلوا إليه إلى ما لم يصلوا إليه، ويقولون كما قال أفضلهم وأعلمهم بربه: "لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك" وإلا فالأمر أجل من ذلك وأعظم.

وهذا التمثيل من باب تقريب المعنى، الذي لا يطاق الوصول إليه إلى الأفهام والأذهان، وإلا فالأشجار، وإن تضاعفت على ما ذكر، أضعافا كثيرة، والبحور لو امتدت بأضعاف مضاعفة، فإنه يتصور نفادها وانقضاؤها، لكونها مخلوقة.

وأما كلام الله تعالى، فلا يتصور نفاده، بل دلنا الدليل الشرعي والعقلي، على أنه لا نفاد له ولا منتهى، وكل شيء ينتهي إلا الباري وصفاته { وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى }

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (١ / ٦٧٩)

وإذا تصور العقل حقيقة أوليته تعالى وأخريته، وأنه كل ما فرضه الذهن من الأزمان السابقة، مهما تسلسل الفرض والتقدير، فهو تعالى قبل ذلك إلى غير نهاية، وأنه مهما فرضه الذهن والعقل، من الأزمان المتأخرة، وتسلسل الفرض والتقدير، وساعد على ذلك من ساعد، بقلبه ولسانه، فأنه تعالى بعد ذلك إلى غير غاية ولا نهاية.

والله في جميع الأوقات يحكم، ويتكلم، ويقول، ويفعل كيف أراد، وإذا أراد لا مانع له من شيء من أقواله وأفعاله، فإذا تصور العقل ذلك، عرف أن المثل الذي ضربه الله لكلامه، ليدرك العباد شيئاً منه، وإلا فالأمر أعظم وأجل "اهـ" (١).

- ومن سعة علمه أنه علم ما هو كائن إلى يوم القيامة فكتب مقادير كل شيء قبل حدوثها، وعلم ما للناس عاملوه من خير أو شر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فقد روى أبوداود والترمذي عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ أَكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » (٢).

وروى الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة" (٣).

اشتغال آية الكرسي على عظمة بعض مخلوقات الله الدالة على عظمتها:

منها: الكرسي وأعظم منه العرش

ومن عظمة هذه الآية العظيمة، أنها اشتملت على بعض مخلوقات الله العظيمة الدالة على عظمتها، ومن ذلك الكرسي الذي هو أكبر من السماوات والأرض، وأكبر من الكرسي العرش الذي هو أكبر من السماوات والأرض والكرسي، فهذان المخلوقان العظيمان يدلان على خالقهما العظيم الكبير المتعال، وقد ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما أنه قال: "الكرسي موضع القدمين" (٤).

فإذا كان هذا الكرسي وهو موضع القدمين، فكيف بالعرش وهو أكبر منه، وهو أول المخلوقات وأكبرها والله تعالى مستوٍ عليه.

وقد أجمع أهل العلم أن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه، مع غناه عن كرسيه وعرشه، وقد عطل المبتدعة معنى الكرسي والاستواء إلى معانٍ فاسدة بتأويل فاسد لا يريده الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، وليس لهم دليل يستندون إليه إلا مجرد الهوى، ولسنا

(١) تفسير السعدي - (١ / ٦٥٠)

(٢) صحيح: انظر صحيح الترمذي (٢٦٤٥)

(٣) صحيح: انظر صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢١٥٦)

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز - (١ / ٢٧٧)

بصدد ذكر تفاصيل ذلك والرد عليهم في هذه الرسالة ،فقد ألفت المؤلفات الكثيرة في الرد عليهم تعالى الله عما يصفه به المبطلون.

تفسير قوله تعالى: {وسع كرسیه السماوات والأرض}

قال المفسر السعدي: "وهذا يدل على كمال عظمتة وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض على عظمتها وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار، وتكل الأبصار، وتقلل الجبال، وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب" اهـ^(١)

فهذا المخلوق العظيم يدل على عظمة الله تعالى، فما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في فلاة، وما الكرسي من العرش إلا مثل تلك الحلقة، والله تعالى أكبر من ذلك كله، "وهو العلي الكبير"

فقد روى محمد بن أبي شيبة في "كتاب العرش" (١١٤ / ١) عن أبي ذر . رضي الله عنه . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة و فضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة " ^(٢).

قال العلامة الألباني - رحمه الله - : "و الحديث خرج مخرج التفسير لقوله تعالى : (وسع كرسیه السماوات والأرض) و هو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش ، و أنه جرم قائم بنفسه و ليس شيئاً معنوياً . ففيه رد على من يتأوله بمعنى الملك و سعة السلطان ، كما جاء في بعض التفاسير . و ما روي عن ابن عباس أنه العلم ، فلا يصح إسناده إليه لأنه من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه . رواه ابن جرير . قال ابن منده : ابن أبي المغيرة ليس بالقوي في ابن جبير" اهـ^(٣).

فهذا يدل على عظمة الخالق سبحانه، فإذا كان خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس وخلق الكرسي أكبر من خلق السماوات والأرض، وخلق العرش أكبر من خلق الكرسي، فإن الله سبحانه وتعالى أعظم من هذا كله فمن أسمائه الكبير المتعال، فما السماوات والأرض في قبضته ويمينه إلا كخردلة في كف الإنسان، فسبحانه ما أعظمه، قال تعالى: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الزمر : ٦٧]

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : "ما السماوات والأرض في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم" ^(٤).

(١) تفسير السعدي - (١ / ١١٠)

(٢) صحيح: انظر "السلسلة الصحيحة" (١ / ١٧٤) (١٠٩)

(٣) المصدر السابق (١ / ١٧٤) (١٠٩)

(٤) أشار إلى صحته الألباني في السلسلة الضعيفة (١١ / ٦٢٩)

فهذه السماوات والأرض على سعتهن وعظمتهن، وكذلك العرش والكرسي على عظمهما دليل على عظمة الله سبحانه وتعالى، مما يحمل العبد على تعظيم الله وتعظيم ما عظمه الله، ومن ذلك امتثال أوامره واجتناب نواهيه، قال الحسن البصري - رحمه الله -: " لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيت" اهـ .
فمن تعظيم الله تعالى تعظيم ما عظمه وتحقير ما حقره، ومن تعظيمه سبحانه وتعالى طاعته واجتناب معصيته.

ثانيا العرش:

بمناسبة ذكر الكرسي في هذه الآية وذكر شيء مما يتعلق به ،نتطرق إلى ذكر العرش وبعض صفاته إذ إنه أعظم من الكرسي ،وهو من مخلوقات الله العظيمة الدالة على عظمته سبحانه وتعالى .

والعرش : هو سرير الملك وهو أكبر المخلوقات وأولها وتقدم أنه أكبر من الكرسي والكرسي أكبر من السماوات والأرض، ولعظمة العرش وصفه الله بأنه عظيم وأنه مجيد، وأنه كريم.

قال تعالى: { ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ } [البروج : ١٥] على قراءة كسر الدال.
وقال تعالى: { فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } [المؤمنون : ١١٦]
وقال تعالى: { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } [التوبة : ١٢٩]

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله - : "أي: هو مالك كل شيء وخالقه، لأنه رب العرش العظيم، الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وَقَدْرُهُ نافذ في كل شيء، وهو على كل شيء وكيل" اهـ^(١).

ومن عظمته أن الله تعالى أضافه إلى نفسه، قال تعالى: { رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ } [غافر : ١٥]

- والدليل على أن العرش أول المخلوقات قوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ } الآية [هود : ٧]

قال الإمام البخاري - رحمه الله - :

باب {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ}.

{ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }.

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ { اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ } اِرْتَفَعَ { فَسَوَّاهُنَّ } خَلَقَهُنَّ.

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٤ / ٢٤٣)

وَقَالَ مُجَاهِدٌ { اسْتَوَى } عَلَا عَلَى الْعَرْشِ.
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمَجِيدُ الْكَرِيمُ وَالْوَدُودُ الْحَبِيبُ، يُقَالُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ مَحْمُودٌ مِنْ حَمِيدٍ.

٧٤١٨- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: "اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ" قَالُوا بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: "اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ" قَالُوا قَبَلْنَا جَنَّاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ، قَالَ: "كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ.." الحديث

فسبحان من خلق السماوات والأرض وأبدعهما على غير مثال سابق، ثم استوى على العرش استواءً يليق بجلاله بغير تمثيل ولا تعطيل ولا تكيف وبلا كيف.
قال تعالى: { الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا } [الفرقان : ٥٩]

- فمن عظمة هذا العرش أنه يحمله ملائكة عظام، مؤمنون مسبحون، كما قال تعالى: { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } [غافر : ٧]

قال المفسر البغوي - رحمه الله - : "قوله عز وجل: { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ } حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون، وهم سادة الملائكة. قال ابن عباس: حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ^(١) ، ويروى أن أقدامهم في تخوم الأرضين، والأرضون والسماوات إلى حوزهم، وهم يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان قدوس رب الملائكة والروح.

وقال ميسرة بن عروبة: أرجلهم في الأرض السفلى، ورؤوسهم خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء التي تليها، والتي تليها أشد خوفاً من التي تليها. وقال مجاهد: بين الملائكة والعرش سبعون حجاباً من نور" اهـ ^(٢).

وقال المفسر ابن الجوزي - رحمه الله - { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ } وهم أربعة أملاك ، فإذا كان يوم القيامة جُعِلُوا ثمانية { وَمَنْ حَوْلَهُ } قال وهب بن منبه : حَوْلَ العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به ، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة ليس فيهم

١) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات - (٢ / ٢٨٦) (٨٤٨)

٢) تفسير البغوي - (٧ / ١٤٠) (١٣٩)

أحد إلا وهو يسبّح بما لا يسبّحه الآخر ، وقال غيره : الذين حول العرش هم الكروبيون وهم سادة الملائكة" اهـ^(١) .

وقال تعالى عن حملة العرش يوم القيامة: { وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } [الحاقة : ١٧]

فانظر إلى هذا المخلوق العظيم الذي من عظمته أنه يحمله ملائكة عظام ، فقد وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهم كما روى أبو داود والطبراني عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال: " أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ: إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ " ^(٢)

وروى الطيالسي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، رَجُلَاهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَعَلَى قَرْنِهِ الْعَرْشُ، وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ خَفَقَانُ الطَّيْرِ سَبْعِمِائَةَ سَنَةٍ، يَقُولُ الْمَلَكُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتُ» ^(٣)

وروى الطبراني والحاكم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله جل ذكره أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه مثني تحت العرش وهو يقول سبحانك ما أعظمك ربنا فيرد عليه ما علم ذلك من حلف بي كاذبا" ^(٤)

أي: أن من كان في قلبه تعظيم لله فإنه لا يحلف بالله إلا وهو صادق، ويخشى من بطشه إن هو حلف به كاذبا، وأما من لم يعظم الله ولم يقدره حق قدره فإنه سيحلف به وهو كاذب ولا يبالي، فإن من أكبر الكبائر اليمين الغموس وهو أن يحلف بالله على شيء وهو يعلم أنه فيها كاذب.

فقد روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغُمُوسُ".

اليمين الغموس تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار ^(٥) .
وروى البيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: .. واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع" ^(٦)

١(زاد المسير في علم التفسير - (٥ / ٢٨٤)

٢(صحيح انظر "السلسلة الصحيحة" (١ / ٢٣٢) (١٥١)

٣(صحيح) انظر حديث رقم : ٨٥٣ في صحيح الجامع .

٤(صحيح الترغيب والترهيب (١٨٣٩) - (صحيح) وانظر السلسلة الصحيحة "السلسلة الصحيحة" (١ / ٢٣١) (١٥٠) .:

٥(انظر فتح الباري - ابن حجر - (١١ / ٥٥٥)

٦(صحيح: صححه الألباني انظر حديث رقم : (٥٣٩١) في صحيح الجامع

أي: مشتتة ممزقة بلا سكنى.

تفسير قوله تعالى: { وَلَا يَنْوَدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } [البقرة: ٢٥٥]

تقدم أن ذكرنا أنه يؤخذ من هذه الآية نفي العجز عن الله سبحانه و تعالى وإثبات صفة القدرة، وفي هذا المبحث نذكر تفسير هذه الآية وما يتعلق بها من فوائد وأسرار.
قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: "أي: لا يثقله ولا يُكرِّثُه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهلٌ عليه يسيرٌ لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزبُ عنه شيءٌ ولا يغيبُ عنه شيءٌ والأشياء كلها حقيرةٌ بين يديه". اهـ^(١)

فإنه عز وجل حفظ السموات السبع بغير عمد، وحفظ النجوم والكواكب في السماء، وحفظ الطير في الهواء، وحفظ الحوت في الماء، وحفظ الكون في الفضاء، وحفظ البشر من الجن والهوام، وسخر لهم مافي السموات والأرض ليعبدوه ويشكروه على نعمه، وقهر كل مخلوق عزة وحكما، فسبحان من دانت له السموات والأرض، واستجابت لأمره طائعتين، وخضعت له الرقاب، وهانت لديه الصعاب، وصمدت إليه جميع المخلوقات.

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ } [الحج: ٦٥]

قال المفسر السعدي - رحمه الله - { يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ } فلو لا رحمته وقدرته، لسقطت السماء على الأرض، فتلف ما عليها، وهلك من فيها { إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } .

وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } [فاطر: ٤١] اهـ^(٢)

وقال المفسر ابن كثير - رحمه الله -: "ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما، فقال: { إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا } أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال: { وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ } [الحج: ٦٥] ، وقال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ } [الروم: ٢٥] { وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ } أي: لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حلیم غفور، أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل، ويستتر آخرين ويغفر؛ ولهذا قال: { إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } اهـ^(٣) .

١) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (١ / ٦٨١)

٢) تفسير السعدي - (١ / ٥٤٤)

٣) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٦ / ٥٥٧)

- ومن عظمته - سبحانه وتعالى - أن السماوات والأرض تكون يوم القيامة في قبضته ويمينه، بل تكون على أصابعه.
قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: ٦٧]

وروى الإمامان البخاري ومسلم - رحمهما الله تعالى - عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ جَاءَ خَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إصْبَعٍ ثُمَّ يَهْزُهُنَّ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْخَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ ثُمَّ قَرَأَ (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

ولهما عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ» متفق عليه

وعند أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «يَطْوِي اللَّهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ ثُمَّ يَأْخُذُهَا « قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ « بِيَدِهِ الْأُخْرَى ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ »^(١).

- ومن عظمته سبحانه وتعالى أنه قهر جميع الخليقة وتكفل بحفظها وأرزاقها مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم.

قال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} [الأنعام: ٦١]

قال المفسر ابن كثير - رحمه الله - "وقوله: { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } أي: هو الذي قهر كل شيء، وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء.

{ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً } أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان، كما قال تعالى { لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } [الرعد: ١١]، وحفظة يحفظون عمله ويحصونه عليه كما قال: { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وقال: { عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } [ق: ١٧، ١٨]. اهـ^(٢)

(١) صحيح: انظر: صحيح ابن ماجه (١٩٨) وحديث رقم: (٨١٠١) في صحيح الجامع وأصله في صحيح مسلم.

(٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٣ / ٢٦٧)

وقال المفسر السعدي - رحمه الله - { وَهُوَ } تعالى { الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } ينفذ فيهم إرادته الشاملة، ومشيتته العامة، فليسوا يملكون من الأمر شيئاً، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإذنه، ومع ذلك، فقد وكل بالعباد حفظةً من الملائكة، يحفظون العبد ويحفظون عليه ما عمل.. اهـ^(١)

وقال تعالى: { لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } [الرعد : ١١]

قال ابن كثير في تفسيره: "وقوله: { لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حَرَسَ بالليل وَحَرَسَ بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فائتان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحدا من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلا حافظان وكتابتان، كما جاء في الصحيح: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليهم الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون"^(٢) وفي الحديث الآخر: "إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع، فاستحيوهم وأكرمواهم"^(٣)

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: { لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } والمعقبات من أمر الله، وهي الملائكة. وقال عكرمة، عن ابن عباس: { يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلّوا عنه. وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال الملك: وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصبيه" اهـ^(٤).

- وهوسبحانه قائم على السماوات والأرض وما بينهما وعلى كل نفس بما كسبت، وليس له نصير ولا عوين ولا شريك ولا ولي.
قال تعالى: { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } [سبأ : ٢٢]
وقال عز وجل: { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا } [الإسراء : ١١١] اهـ^(١)

(١) تفسير السعدي - (١ / ٢٥٩)

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة - رضي الله عنه.

(٣) قال الشيخ الألباني : (ضعيف) انظر حديث رقم : (٢١٩٤) في ضعيف الجامع

(٤) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٤ / ٤٣٧) (٤ / ٤٣٨)

قال المفسر الطبري - رحمه الله - : "يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم (وَقُلْ) يا محمد (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) فيكون مربوبا لا ربا، لأن ربّ الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) فيكون عاجزا ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفا، ولا يكون إلها من يكون محتاجا إلى معين على ما حاول، ولم يكن منفردا بالملك والسلطان (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّ) يقول: ولم يكن له حليف حالفه من الدّل الذي به، لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره، فذليل مهين، ولا يكون من كان ذليلا مهينا يحتاج إلى ناصر إلها يطاع (وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا) يقول: وعظم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل، وأطعه فيما أمرك ونهاك" اهـ^(٢).

- ومن عظمته وقدرته الكاملة أنه رزق الخلائق كلها من إنسان وجان وحيوان وطيروحات وحشرات، فلم يعجزه ذلك، ولم ينقص من خزائنه إلا كما ينقص المحيط من البحر إذا أدخل فيه.

قال تعالى: { وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ } [الذاريات : ٢٢]
وقال تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [هود : ٦]

قال ابن كثير - رحمه الله - : { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ }

أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها، بحريها، وبريها، وأنه { يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا } أي: يعلم أين منتهى سيرها في الأرض، وأين تأوي إليه من وكرها، وهو مستودعها.

وقال علي بن أبي طلحة وغيره، عن ابن عباس: { وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا } أي: حيث تأوي، { وَمُسْتَوْدَعَهَا } حيث تموت.

وعن مجاهد: { مُسْتَقَرَّهَا } في الرحم، { وَمُسْتَوْدَعَهَا } في الصلب، كالتي في الأنعام: وكذا روي عن ابن عباس والضحاك، وجماعة. وذكر ابن أبي حاتم أقوال المفسرين هاهنا، كما ذكره عند تلك الآية: فالله أعلم، وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك، كما قال تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أَمَّمْ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } [الأنعام: ٣٨] اهـ^(٣).

وقال المفسر السعدي - رحمه الله - : "أي: جميع ما دب على وجه الأرض، من آدمي، أو حيوان بري أو بحري، فالله تعالى قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، فرزقها على الله. { وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا } أي: يعلم مستقر هذه الدواب، وهو: المكان الذي تقيم فيه وتستقر فيه، وتأوي إليه، ومستودعها: المكان الذي تنتقل إليه في ذهابها ومجيئها، وعوارض أحوالها.

(١) صحيح: انظر: صحيح ابن ماجه (١٩٨) وحديث رقم : (٨١٠١) في صحيح الجامع وأصله في صحيح مسلم.

(٢) جامع البيان (تفسير الطبري) - (١٧ / ٥٨٩) - (١٧ / ٥٩٠)

(٣) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (٤ / ٣٠٥)

{ كُلٌّ } من تفاصيل أحوالها { فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } أي: في اللوح المحفوظ المحتوي على جميع الحوادث الواقعة، والتي تقع في السماوات والأرض. الجميع قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، ووسعها رزقه، فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علما بذواتها، وصفاتها" اهـ^(١).

فقد روى الشيخان عن أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ ». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَمِينِهِ ». قَالَ « وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ ». متفق عليه

ومعنى: يغيض: أي، ينقص.

وقال الله عز وجل في الحديث القدسي: " يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أَدْخَلَ الْبَحْرَ.." الحديث رواه مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(وهو العلي العظيم):

بعد أن ذكر الله جل وعلا في هذه الآية العظيمة جملة من الأسماء والصفات الكريمة، وذكر بعض المخلوقات العظيمة الدالة على عظمته، ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين العظيمين الدالين على علوه وعظمته سبحانه وتعالى، فالله عالٍ على خلقه، مستور على عرشه، لا تخفى عليه منهم خافية، وهو العظيم الذي دانت لعظمته الجبابرة، وانكسرت أمام قوته الكياسرة، وقصرت عن عظيم سلطانه القياصرة، وقهر جميع الخليقة بعزته وجبروته { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } [الأنعام: ١٨] وتقدم معنى هذين الاسمين عند ذكر الأسماء والصفات التي اشتملت عليها هذه الآية العظيمة.

المواضع التي تقرأ فيها آية الكرسي:

- ١: يشرع قراءتها صباحا ومساء، فقد ثبت أنها من أذكار الصباح والمساء كما سيأتي.
- ٢: يشرع قراءتها عند النوم فقد ثبت أنها من أذكار النوم وسيأتي قريباً.
- ٣: ويشرع قراءتها بعد الصلوات المفروضة، فإن ذلك من أسباب دخول الجنة.
- ٤: ويشرع قراءتها في المنازل وغيرها فإنها حرز من الشياطين والسحرة.

قراءة آية الكرسي من أذكار الصباح والمساء.

فمن قرأها صباحا ومساءً حفظه الله من كل شيطان ولهذا جعلت من أذكار الصباح والمساء

(١) تفسير السعدي - (١ / ٣٧٧)

فقد روى النسائي والطبراني عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رضي الله عنه - أَنَّهُ كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ، فَكَانَ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شَبِهُ الْعَلَامِ الْمُحْتَلِمِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ، جَنِّي أَمْ إِنْسِي؟ قَالَ: لَا بَلْ جَنِّي. قَالَ: فَنَاوَلْنِي يَدَكَ. فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَإِذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُهُ شَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلَقَ الْجِنَّ، قَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الْجِنَّ أَنَّ مَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: بَلَعْنَا أَنَّكَ نُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ. قَالَ: فَمَا يُجِئُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥] مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمَسِّي أُجِيرَ مِنْهَا حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ أُجِيرَ مِنْهَا حَتَّى يُمَسِّي، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «صَدَقَ الْخَبِيثُ»^(١)

قراءة آية الكرسي من أذكار النوم.

ومن قرأها عند نومه لا يقربه شيطان حتى يصبح.

فقد جاء في صحيح البخاري معلقاً عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٌ فَجَعَلَ يَخْتُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَخْتُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّلَاثَةَ، فَجَاءَ يَخْتُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْطَانٌ»

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٦٢)

ففيها عصمة من الشيطان بإذن الله تبارك وتعالى.
وليس في هذا الحديث دليل على قبول خبر المبطل والتعلم عنده والأخذ عنه قياسا على قبول خبر ذلك الشيطان؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أقره لموافقة الحق ورسول الله صلى الله عليه وسلم مشرّع، أما الآن فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات والوحي قد انقطع من السماء، فمن يقرنا على كلام أهل الباطل أو ينفيه، وهل هو حق أم باطل، فلا يُقبل الحق إلا من أهله ومن مصدره، ولا نأخذ العلم إلا من منبعه الصافي؛ لأن الملبسين كثيرون من أهل البدع والأهواء- لا كثرهم الله -، والشبه خطافة، والله ورسوله قد حذرا من أهل البدع والزيف ومن الأخذ عنهم؛ لأنهم يتبعون المتشابه من الأدلة، ويلوون أعناق النصوص بما يوافق أهواءهم.

آية الكرسي من أسباب دخول الجنة لمن قرأها دبر الصلوات المفروضة:

فقد روى النسائي والطبراني عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»^(١)

أي: أنه مجرد أن يموت يدخل الجنة، وذلك لمن قرأها وتدبرها، واستحضر معانيها، وما اشتملت عليه من عظيم أسماء الله وصفاته، وعظيم مخلوقاته الدالة على عظمته، وما أودع الله فيها من فوائد وحكم وأسرار.

آية الكرسي حرز من السحرة و الشياطين:

فقد روى الإمام مسلم عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ أَقْرَأُوا الزَّهْرَ أَوْ يَنْ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَّائَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا أَقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ ». قَالَ مُعَاوِيَةُ بَلَّغَنِي أَنَّ الْبَطْلَةَ السَّحَرَةُ.

ومن المعلوم أن سورة البقرة من أعظم سور القرآن الكريم، وآية الكرسي أعظم آية فيها، بل هي أعظم آية في القرآن الكريم كما تقدم، فهي حرز من السحرة والشياطين من باب الأولى والأحرى.

فينبغي لكل مسلم أن يحفظ هذه الآية العظيمة ويتعرف على معانيها وأن يتدبرها، فإنها من أسباب حفظ الله للعبد في الدنيا وهي حصن حصين من الشياطين.

قراءة آية الكرسي حرز في البيت من الشياطين:

فقد روى الترمذي عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أنه كانت له سهوة فيها تمر وكانت تجيء الغول^(١) فتأخذ منه قال فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٩٥)

أذهب فإذا رأيتهما فقل باسم الله أجيبني رسول الله" قال فأخذها فحلفت أن لا تعود فأرسلها فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ما فعل أسيرك" قال حلفت أن لا تعود فجاء قال: "كذبت وهي معاودة للكذب" قال فأخذها مرة أخرى فحلفت أن لا تعود فأرسلها فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما فعل أسيرك" قال: حلفت أن لا تعود، فقال: "كذبت وهي معاودة للكذب" فأخذها فقال ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إني ذاكرة لك شيئاً، آية الكرسي اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما فعل أسيرك" قال فأخبره بما قالت ، قال: "صدقته وهي كذوب" (٢)

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ».

وقال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - : "ثم أخبر صلى الله عليه وسلم أن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة يعني إذا قرأت في بيتك سورة البقرة فإن الشيطان يفر منها ولا يقرب البيت والسبب أن في سورة البقرة (آية الكرسي) ويدل لهذا ما بعد الحديث الذي ذكره المؤلف حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.. اهـ" (٣)

قال المفسر القرطبي - رحمه الله - : "قال أبو عبد الله: فهذه آية أنزلها الله جل ذكره، وجعل ثوابها لقارئها عاجلاً وأجلاً، فأما في العاجل فهي حارسة لمن قرأها من الآفات، وروى لنا عن نوف البكالي أنه قال: آية الكرسي تدعى في التوراة ولية الله. يريد يدعى قارئها في ملكوت السموات والأرض عزيزاً، قال: فكان عبد الرحمن ابن عوف إذا دخل بيته قرأ آية الكرسي في زوايا بيته الأربع، معناه كأنه يلتمس بذلك أن تكون له حارساً من جوانبه الأربع، وأن تنفي عنه الشيطان من زوايا بيته. وروى عن عمر أنه صارع جنياً فصرعه عمر رضي الله عنه، فقال له الجني: خل عني حتى أعلمك ما تمتنعون به منا، فخلى عنه وسأله فقال: إنكم تمتنعون منا بآية الكرسي. قلت: هذا صحيح،.. اهـ" (٤)

تم الكتاب والله الحمد والمنة

سبحانك اللهم بحمدك ،وتبارك اسمك ،وتعالى جددك،تمت الرسالة مع المراجعة والله الحمد والمنة

في ٥/ذوالحجّة/١٤٤٠هـ

مسجد التوحيد/رداع / اليمن.

وراجعها الشيخ الفاضل/ فتح القدسي - حفظه الله - وجزاه خيراً،وقال: "تمت مراجعتها في

المسجد النبوي الشريف مقابل الروضة الشريفة ليلة السبت ٢٢محرم ١٤٤١هـ

(١) الغول: إناث الجن.

(٢) صحيح: صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب - (١٤٦٩)

(٣) شرح رياض الصالحين - (١ / ١١٦٨)

(٤) تفسير القرطبي - (٣ / ٢٦٨) (٣ / ٢٦٩)